ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبل ، ووجدت الحاجة إليه ماسّة ، والكتب المصنَّفة فيه قليلة . وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. وهو لعمري كثير الفوائد ، جمّ المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة، وما حواه من اسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة ، وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة ، إلا أن الإبانه عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة، مبثوثة في تضاعيفه ، ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالّة بين الأمثله ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير ، فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يُحتاج إليه في صنعة الكلام نثره ونظمه »[1] .

ويتألف (كتاب الصناعتين) من عشرة أبواب تشتمل على ثلاثة وخمسين فصلاً، تتناول الموضوعات البلاغية المختلفة من تحديد موضوع البلاغة لغة واصطلاحاً ، إلى تمييز جيّد الكلام من رديئه ، ومعرفة صنعته ، وحُسن الأخذ وقبحه ، إلى ذكر الإيجاز والإطناب ، والتشبيه ؛

---

(١) كتاب الصناعتين : ٥